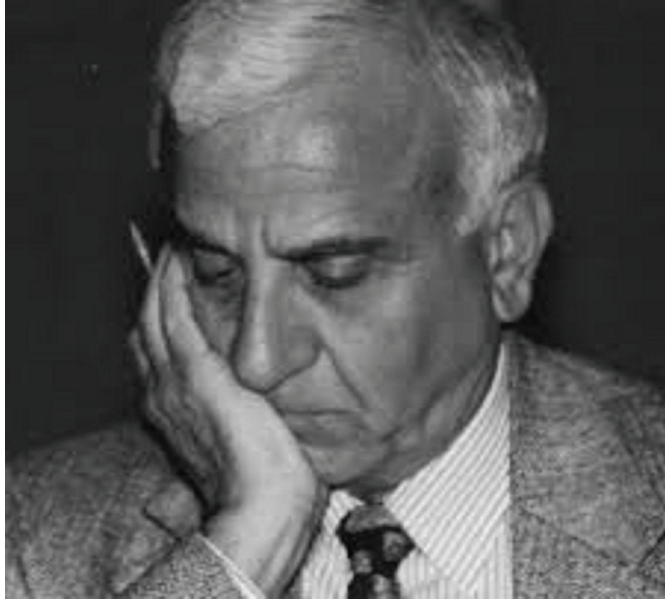


فؤاد مغربي*

تكريماً لنصير عاروري



أذكر أبداً أنه علّق بخبث على أي شخص،
وقد نشطنا في رابطة خريجي الجامعات
الأميركية العرب (AAUG) عدة أعوام، وكان
معنا زميلنا العزيز الراحل سميح فرسون،
فأصبحنا لا نفترق عملياً.
برز نصير كباحث وناشط، ولعله اقترب

* أستاذ فخري للعلوم السياسية في جامعة تينيسي
في تشاتانوغا.
ترجمة: ريم ديبّات.

صديقي العزيز وزميلي
رحيل نصير عاروري استحضر لديّ
فيضاً من المشاعر والأفكار، فأنا ما زلت
أحتفظ بالذكريات عن لقاءاتنا الشخصية:
سفري معه إلى جميع أنحاء الشرق
الأوسط؛ استماعي إلى محاضراته؛ جلوسي
معه للنقاش بشأن السياسة الفلسطينية؛
ضحكي على نكاته التي يلقيها بوجه جامد،
وعلى توصيفه الساخر لمختلف الأحداث.
كان دائماً الرجل المحترم المثالي، ولا

كليفلاند / أوهايو في سنة ١٩٧٤، وكان من دواعي سروري أن أقابل هناك نصير، وإبراهيم أبو لغد، وإدوارد سعيد، وإيلين هاغوبيان، وسميح فرسون، وعابدين جبارة، علاوة على ناشطين آخرين. وفي سنة ١٩٧٨ انتُخبتُ رئيساً للرابطة.

كنا ننظر إلى رابطة خريجي الجامعات الأميركية العرب كحاضنة ممكنة التحقق، ثم في سنة ١٩٨٠ أسس السيناتور الأميركي السابق جيمس أبو رزق للجنة العربية - الأميركية لمكافحة التمييز، وعيّن جيمس زغبى مديراً لها، وقد قام زغبى فيما بعد بالتوسع وبتأسيس المعهد العربي - الأميركي. وقام جيل جديد من الناشطين بإطلاق حملة إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، كما جرى تنظيم حملة حقوق الإنسان الفلسطيني وتأسيس حركة العودة. لاحقاً، من طرف أشخاص تشكلت حياتهم السياسية في إطار رابطة خريجي الجامعات الأميركية العرب. وتأسست حركة العودة بعد مؤتمر حق العودة الأول في أميركا الشمالية في سنة ٢٠٠٠، وكان هذا المؤتمر برعاية معهد البحوث العربية (TARI) الذي كان نصير أحد مؤسسيه ومديره في حينه، وجرى التأسيس في اجتماع عقده المشاركون في المؤتمر بعد انتهاء أعماله.

أصبح المؤتمر السنوي لرابطة خريجي الجامعات الأميركية العرب ميداناً يلتقي فيه المثقفون التقدميون والناشطون من الولايات المتحدة وكندا وأميركا اللاتينية وأوروبا والعالم العربي، ويتبادلون الأفكار، كما دُعي إلى حضور المؤتمر كبار المثقفين اليساريين: إقبال أحمد؛ طارق علي؛ كريشنا مينون؛ أندرياس بابانديرو؛ أنور عبد الملك؛ ناعوم تشومسكي؛ محمود درويش؛ جيسي جاكسون؛ رالف أبرناثي؛ إسرائيل

مما يسميه أنطونيو غرامشي "المثقف العضوي". كان لا يعرف الكلل في دفاعه عن الحقوق الفلسطينية، وكان عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني، فضلاً عن كونه عضو مجلس إدارة في الهيئة الفلسطينية المستقلة لحقوق المواطن. وكان في الوقت ذاته، يعمل في مجال الدفاع عن حقوق الإنسان في العالم العربي، إذ كان عضو مجلس إدارة في منظمة العفو الدولية (أمستي) لثلاث دورات، وكذلك عضو مجلس إدارة في منظمة مراقبة حقوق الإنسان (هيومن رايتس ووتش). وعلى خلاف كثيرين، أخذ مهمته على محمل الجد فلم يعتبر أنه مكلف بمنصب فخري فقط، ولهذا كان يقرأ جميع التقارير، ويحضر الاجتماعات كلها، ويساهم بفاعلية طوال أعوام خدمته.

كان نصير أحد الأعضاء المؤسسين لرابطة خريجي الجامعات الأميركية العرب مع إبراهيم أبو لغد، وحسني حداد، ورشيد بشور، وفوزي النجار، وشريف بسيوني، وعابدين جبارة، وآخرين، وانتهى به المطاف إلى رئاستها مرتين، فضلاً عن كونه أحد أعضاء مجلس إدارتها. وقد تأسست الرابطة في سنة ١٩٦٧ في أعقاب حرب حزيران / يونيو، ففي ذلك الوقت أصيب الباحثون والناشطون العرب. الأميركيون بالصدمة جراء فيض التعليقات العنصرية والخبثية التي انصبت على العرب والثقافة العربية في وسائل الإعلام الأميركية، فقرروا إنشاء منظمة من شأنها أن تواجه هذا التصوير السلبي، وأن تحاول تقديم رواية مضادة للجمهور الأميركي. ولم يكن الهدف تكوين لوبي، وإنما إنشاء منتدى يعقد مؤتمراً سنوياً، وينتج الكتب والدراسات الغنية بالمعلومات بشأن مختلف الجوانب في العالم العربي، وقد حضرت أول مؤتمر للمنتدى في

ووضع نصير أيضاً، بالشراكة مع صديقه سميح فرسون، كتاباً مهماً عن التاريخ السياسي والاجتماعي لفلسطين والفلسطينيين قبل نكبتهم في سنة ١٩٤٨ وبعدها، وهذا الكتاب، إلى جانب المساهمات المهمة لوليد الخالدي وإدوارد سعيد وإبراهيم أبو لغد، يعرّف الجمهور الغربي بالفلسطينيين كبشر لهم مظالمهم المشروعة وآمالهم وتطلعاتهم. كما أن كتابه "الاحتلال: احتلال إسرائيل لفلسطين" (*Occupation: Israel over Palestine*, London: Zed Books, 1985) كان أولى المحاولات اللافتة للنظر لتحليل طبيعة الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة، وقد اختارته مجلة "تشويس" (*Choice*) التابعة لجمعية المكتبات الأميركية ليكون "الكتاب الأكاديمي المتميز" لسنتي ١٩٨٤ - ١٩٨٥. ومع أنه وُلد في القدس، إلا إن عائلته ظلت تحتفظ بمنزلها في قرية برهام الصغيرة قرب رام الله، وقد اصطحبني ابن عمه وصديقي تيسير عاروري، مدرّس مادة الفيزياء في جامعة بيرزيت، إلى هناك، وجال معي في الجوار. والبيت لا يزال منتصباً على حافة الهضبة، مع إطلالة بانورامية على التلال التي تكسوها أشجار الزيتون، كما أن معصرة الزيتون التي كانت تمتلكها عائلته ما زالت موجودة في وسط القرية، لكنها لم تعد مستخدمة. وقيل لي إنه كان هناك معصرة زيتون أيضاً في قرية جيبيا المجاورة، غير أن الجيش الإسرائيلي قام بتفكيكها وإعادة تجميعها في مستعمرة يهودية مجاورة، لتبدو كأنها موجودة هناك منذ مئات السنين. إن رؤية بيت العائلة، والتعرّف إلى مكانه وموقعه في المنطقة الريفية، يجعلان المرء يدرك سبب ارتباط نصير العاطفي بفلسطين وشعبها ومناظرها

شاحاك؛ كورنيل ويست؛ وغيرهم. وكانت الرابطة هي المنتدى الذي تم فيه الاجتماع التاريخي الأول في سنة ١٩٧٦، والذي ضم مبعوثي منظمة التحرير الفلسطينية الرفيعة المستوى (شفيق الحوت وفاروق القدومي) المشاركين في دورة الجمعية العامة في الأمم المتحدة في نيويورك، وكذلك قياديين من المجتمع الفلسطيني في إسرائيل بينهم توفيق زياد وسميح القاسم وإميل حبيبي. كما أن فيليبسيا لانجر، المحامية الإسرائيلية المعروفة في مجال حقوق الإنسان، حضرت كي تناقش كتابها المعنون "بأم عيني". كان نصير باحثاً على درجة عالية من الانضباط والاجتهاد، ومدرّساً متميزاً، وكانت مساهماته العلمية مشغولة بدقة عالية، إذ كان يعير الانتباه فيها إلى أدق التفاصيل، ولا بد أنه كان يحتفظ بملف مذهل بشأن مختلف الموضوعات، مستنداً في هذا إلى مصادر عربية وإنجليزية وعبرية. وكان يناقش قضيته كمحام متمرس، مقدماً وثائق كاملة وشاملة، فعلى سبيل المثال، من يقرأ أحدث أعماله: "الوسيط غير النزيه: دور الولايات المتحدة في إسرائيل وفلسطين" (*Dishonest Broker: The U.S. Role in Israel and Palestine*, New York: South End Press, 2003)، لن يشك على الإطلاق في أن الولايات المتحدة، ذات العلاقة الوثيقة جداً بإسرائيل، هي أبعد ما تكون عن الوسيط النزيه، وفي أنها فعلياً جزء من المشكلة؛ وهذا الكتاب هو نسخة منقّحة ومحدّثة عن عمل سابق هو "عرقلة السلام: الولايات المتحدة، إسرائيل، والفلسطينيون" (*The Obstruction of Peace: The U.S., Israel, and the Palestinians*, Monroe, Maine: Common Courage Press, 1995).

غنياً للإلهام والأمل بأن تتمكن فلسطين والعالم العربي من استرداد تلك الأصالة بشكل من الأشكال. لقد كانت سياسته سياسة تحرر، كما وصفها إدوارد سعيد، ولهذا رفض اتفاق أوسلو المخزي وحل الدولتين المفلس تاريخياً، ولهذا أيضاً كان دائم الانتقاد لأساليب عرفات الفردية وقراره القيام بتنازلات تاريخية. لقد كان نصير، بأكثر من شكل، أحد الأصوات التي مهّدت الطريق إلى الربيع العربي، وهو لم يحد يوماً عن تأييد قيام دولة واحدة في فلسطين لجميع مواطنيها مبنية على أساس المساواة السياسية الكاملة واحترام حقوق الإنسان. ■

الطبيعية الخلابة، ويصبح ممكناً تفسير تلك الأصالة الضاربة جذورها عميقاً في الأرض، والتي كان يبديها. تفسّر زيارة برهام والتحدث إلى أهلها لماذا كان نصير يسارياً، ولماذا كان متمسكاً بمبادئه وقيمه. والقرى المجاورة لبرهام تقدمية أيضاً، ومن الوارد جداً أن يسمع المرء "نشيد الأممية" في أعراسها مع الأغاني الفولكلورية الفلسطينية التقليدية. لقد فقد اليسار الفلسطيني، بل اليسار العربي في الحقيقة، واحداً من أقوى مناصريه، لم يتنازل في أي وقت، ولم يستسلم قط لإغراءات المال والمنصب. ورحلته في الحياة وأعماله تمنحنا مصدراً

من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

النكبة

نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود

١٩٤٧ - ١٩٤٩

(ثلاثة أجزاء)

تأليف: عارف العارف

إعداد وتقديم: وليد الخالدي

١٥٥٨ صفحة ٦٠ دولاراً